الأسس المنطقية للغة العربية

رياض السليم

المقدمة

يوما بعد يوم تزداد أهمية اللغة العربية كلغة عالمية وتعتبر من أكثر اللغات انتشارا بين سكان المعمورة.

بالإضافة إلى الأهمية الدينية لها عند بعض الأديان وخصوصا بالنسبة إلى الديانة الإسلامية بصفتها الحاضنة للرسالة الإسلامية متمثلة في القرآن و السنة والمعارف الدينية وكذلك للأديان الأخرى التي تكلم أصحابها باللغة العربية وعاشوا في أحضان الأمة العربية كالمسيحية والصابئية واليهودية.

وكذلك لا يمكن أن تخفى أهمية اللغة من ناحية علمية وحضارية، فاللغة العربية هي التي احتضنت العلوم والحضارة ونمتها في فترة القرون الوسطى، ولولا هذا الاحتضان العربي للحضارة لما وصلت الحضارة الحديثة ما وصلت إليه بل لا يمكن فهمها وفهم سر ابداعها إلا من خلال العودة إلى الجذور والأصول لنجد أن بذورها قد أخذت من الحضارة العربية ويكمن سر هذه الحضارة في اللغة العربية فهي كانت ولا تزال من أهم روافد الإبداع.

وهذا ليس إدعاء جزافيا بل هو ما ستحاول هذه الدراسة مقاربته وتسليط الضوء عليه.

،

أهمية دراسة اللغة العربية

اللغة العربية بحر لا يدرك شاطئه، وتتميز على بقية اللغات بأنها الأكثر ثراءً من ناحية كثرة المفردات، والأكثر إحكاما واتقانا من ناحية تطور النظام الصرفي والاشتقاقي والأكثر سلالة وعذوبة من ناحية موسيقى الألفاظ وتناغم الحروف والمخارج.

والأهم من كل ذلك هي أنها اللغة الأقدم التي حافظت على كيانها منذ ١٤ قرنا بخلاف اللغات الأخرى التي تتغير هويتها عبر القرون ويعجز الخلف في فهم كلام السلف بسهولة. وبهذا فنحن أمام ظاهرة عجيبة فريدة تحمل بين ثنايها أسرار التاريخ وأسرار المعرفة ولهذا قد تسابق علماء اللغة في فهمها ودراستها ومحاولة اكتشاف أسرارها ولا يزال أمامنا الكثير الكثير. وقد استخدموا في دراستها مختلف المناهج العلمية لتأصيل قواعدها فقد استخدموا منهج القياس والاستنتاج، واستخدموا منهج الملاحظة والسماع والتجربة والاستقراء، واستخدموا منهج التمثيل والمقارنة لتكون علوم اللغة العربية التي أسسها علماؤنا الأولون علوما حقيقية وفق معايير العلم الحديث بل أكثر من ذلك وهو أن تكون اللغة بحد ذاتها منهجا علميا فعالا لدراسة العلوم، وهذا المنهج كان من أهم الروافد للحضارة الاسلامية، ولاتزال المنهجية اللغوية في دراسة العلوم أهم ما انتجته الحضارة الحديثة، فمن خلال علوم اللغة المنطقية تم تشغيل الحواسيب وانتاج الذكاء الصناعي. بل أكتشف العلم الحديث أن حقيقة الكائنات الحية تتشكل من لغة هندسية حيوية تعرف بالدي إن أيه وهذا ما عزز أهمية اللغات كعلم ومنهج وفلسفة.

أهمية هذه الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى لفهم الأسس المنطقية للغة العربية بطريقة مبتكرة، ومواكبة لأحدث الأدوات المنهجية العلمية الحديثة، وهي المنطق الرياضي، وهذه محاولة غير مسبوقة، وهذه المحاولة ستفتح أفقا جديدا أمام علوم اللغة العربية.

أشكالية البحث

هل يمكن القول أن ظاهرة الإعراب مجرد ظاهرة ذوقية أوأنها تقوم على أسس منطقية قد اكتشفها وابرزها الذوق العربي؟

وهل استطاع علماء اللغة العربية الأوائل رصد هذه الظاهرة، وتحليلها بشكل علمي وإلى أي مدى نجحوا في ذلك ؟
وهل يمكننا أن ندرس ظاهرة الإعراب دراسة عقلية صرفة ونكتبها بلغة الرياضيات؟

الهدف

السعي في تأصيل منهجية علمية جديدة في دراسة اللغات وبالخصوص في دراسة اللغة العربية ووضع هذه المحاولة أمام الباحثين لفتح أفق جديد في دراسة اللغة العربية.

المنهج

تحليلي ، نقدي ، استنتاجي

الدراسات السابقة

لم يسبق أن درست ظاهرة الإعراب من زاوية منطقية رياضية، وربما تكون لهذه الدراسة الريادة في هذا الشأن ولكن دراسة ظاهرة الإعراب بشكل منطقي وفلسفي قد أشبعها علماء اللغة العربية بحثا وتحقيقا، ورصدوا الأسباب والعلل، ووضعوا القواعد والقوانين.

هيكلة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة
الفصل الأول: اللغة العربية النشأة والتطور
الفصل الثاني: علوم اللغة العربية التأسيس والتنظير
الفصل الثالث: الأسس المنطقية لظاهرة الإعراب.

الفصل الأول: اللغة العربية (النشأة والتطور)

قبل البدء بالحديث عن اللغة العربية أرى من المهم جدا البدء بتوضيح بعض المفارقات المنهجية لكي تتضح بدقة ما نحن بصدد الحديث عنه.

المفارقة الأولى: التفرقة بين اللغة الملفوظة واللغة المكتوبة.

يقع الكثير من الباحثين في هذا الخطأ وهو الخلط بين اللغة الملفوظة وبين اللغة المكتوبة أي الخط أو ما يعرف بأبجديات الكتابة، فاللغة العربية قبل الإسلام على سبيل المثال قد كتبت بعدة خطوط مختلفة كخط الجزم عند عرب الشمال وخط المسند لعرب الجنوب، وذلك أن الخطوط (رموز الكتابة) عبارة عن أنظمة دلالية عقلية وضعية قد تطورت وتعددت عبر العصور، ولم يزل نظام الكتابة العربية يتطور حتى استقر هذا الخط الذي نعرفه بعد ارتباطه باللغة العربية في صدر الإسلام، ولم يكن هذا الخط حكرا على العربية، بل استخدم مع عدة لغات أخرى كالفارسية، والأردو، والتركية القديمة أما التركية الحديثة فقد استبدلت الأبجدية العربية بالأبجدية اللاتينية.
وعليه فما يهمنا دراسته هو اللغة الملفوظة، ودلالات الألفاظ على المعاني التي هي من صميم الفطرة الإنسانية أما النظام الكتابي، فهو منتج من وضع العقل وابتكاره.

المفارقة الثانية: اللغات واللهجات.

من المسلم به أن اللغات تتطور، وتتأثر بالعوامل المحيطة، فيتم استحداث كلمات، وأساليب تعبير جديدة نتيجة تطور الفكر، وتبدل

المفاهيم، وتغير وجهة النظر تجاه الأشياء، واختلاط الأمم ببعضها، وتنقلاتهم من بر إلى بحر إلى جبل إلى وادي.

فاللغة الواحدة تتحول إلى لهجات مع مرور الوقت، ونظرا لاختلاف العوامل من مكان لآخر، فتتطور اللهجات لتتحول إلى لغات ما لم يتم ربطها باللغة الأم، وهذا ما ميز اللغة العربية، وهو أن اللهجات قد ارتبطت باللغة الأم، ولولا هذا الربط لتحولت اللهجات إلى لغات مستقلة كما حدث مع اللهجة المالطية العربية التي انفصلت عن العائلة، وتحولت إلى لغة مستقلة.

فاللغة العربية قد نمت وتطورت وتحولت إلى عدة لهجات، بعضها قد تحول إلى لغات مستقلة مثل اليهودية والحبشية والمهرية، وبعض اللهجات كادت أن تتحول إلى لغة لولا القرآن الكريم الذي ربط اللهجات باللغة الأم، وهذا ما أعطى اللغة العربية ثراء يستحيل أن ترى له مثيلا بين اللغات الأخرى.

وأما نزول القرآن بلهجة قريش، فله حكمة بالغة، وهي أن القرآن رسالة عالمية، والحكمة تقتضي أن ينزل القرآن باللغة الأكثر انتشارا، والأكثر تأثيرا، فكانت لهجة قريش المضرية هي نقطة الالتقاء بين عرب الشمال وعرب الجنوب، فنبي الله ابراهيم كان من الكنعانين عرب الشمال بالعراق، وزوجته هاجر من القبط عرب مصر، وابنهما اسماعيل عاش مع قبيلة جرهم من عرب الجنوب، ومن هنا جاءت لهجة النبي اسماعيل لهجة مميزة تحوي العناصر الأكمل والأجمل من اللهجات الأخرى، ومن هنا صارت لهجة بني اسماعيل أكثر جمالا و تكاملا من غيرها .

وساعد على ذلك أن قريش قد سكنت مكة المكرمة، فكان كل العرب يحجون إلى مكة، وبالتالي تحولت لهجة قريش إلى لغة التواصل بين مختلف القبائل والاقوام.

والأمر الثالث: هو أن لهجة قريش كانت تمثل لغة التجارة، والتواصل مع مختلف الشعوب الشرق أوسطية، فهذه اللغات في تلك الحقبة لم تنفصل تماما عن اللغة العربية، فكان التواصل ممكنا من دون مترجم كما يتواصل في زماننا العربي الخليجي مع العربي الجزائري، ففي الوهلة الأولى يصعب عليهم التواصل، ولكن مع قليل من التركيز والخبرة يتم التواصل بسهولة.

المفارقة الثالثة: اللغة وعلوم اللغة.

من الأمور المهمة التي تختلط على البعض هي ضرورة التفرقة بين اللغة التي يتكلم بها الناس على سجيتهم، وبين علوم اللغة التي هي جهود العلماء في فهم ظاهرة اللغة، فعلم النحو ليس هو اللغة العربية، بل هو وصف علمي تقريري قياسي لظاهرة الإعراب، وكذلك بقية علوم اللغة التي ليست هي اللغة بل هي مقدمات علمية لفهم ظاهرة اللغة، ولفهم كلام الناس، ومراداتهم بدقة.

فالعلوم تشكلت في مرحلة متأخرة عن مرحلة تشكل اللغة، فاللغات كلها تشكلت سماعية، ثم جاء العلماء فقرروا لها قواعد وأصول، ولربما مع الزمن تتغير أساليب اللغة، فيغير العلماء القاعدة أو يضعون القاعدة وفقا للسماع دون وجود قاعدة قياسية.

وكذلك اللغة العربية الفصحى كانت دارجة على الألسن بالسليقة، فلما خافوا من ضياعها سعوا إلى تدوينها، وتدوين قواعدها، وبذلك ولدت علوم اللغة العربية.

ونحن هنا ندرس اللغة العربية كظاهرة كما تكلم بها العرب، ونقوم بوصفها وتحليلها، ومن ثم نقرر قواعدها بشكل علمي دون العبث في اللغة، ودون إصدار الأحكام التقييمية عليها، فلا يحق لنا ذلك بخلاف علوم اللغة، والنظريات العلمية المفسرة للغة التي هي اجتهادات العلماء في فهم اللغة إذ يحق لنا مناقشة نظرياتهم وتقييمها ونقدها.

النشأة والتطور

وإلى هنا نصل إلى ما نريد قوله وهو أن اللغة العربية أم اللغات.

وأعني بالعربية كل اللغات واللهجات العربيات مجتمعة لا خصوص لغة قريش المضرية، فمن هذا الاجتماع تتضح لنا ملامح اللغة الأولى التي تكلم بها آدم وبطبيعة الحال هي لغة أكثر بساطة، وبدائية من اللغة الحالية، فلغة آدم كانت عبارة عن شتلة صغيرة تحولت إلى شجرة عملاقة معمرة، وأعني بالشجرة هو اللغة العربية، وحول هذه الشجرة العملاقة توجد شجيرات صغيرة هي عبارة عن اللغات الأخرى

التي انفصلت عن اللغة الأمة، ونمت بشكل مستقل. ودليلنا على ذلك ثلاثة أمور هي:

أولا: الجذور.

لربما تكون اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تحتفظ فيها المفردة بكامل عائلتها اللغوية، ويتمكن كل باحث من معرفة اللفظة الأم أو المصدر أو الجذر، ويمكن معرفة كل الاشتقاقات التي تتولد من الجذر، وهذا يكشف لنا أن التسلسل المنطقي لتطور الكلمات الذي لم ينقطع عن الأصل أو المبدأ الذي انطلق منه التسلسل.

وهذا بخلاف اللغات الأخرى التي لا نجد الترابط المنطقي بين ألفاظها، بل نجد الألفاظ تخلو بلا روابط منطقية، وبلا عائلة أشتقاقية، وبلا جذور لغوية تعود إليها المفردات، ولو أردنا أن نبحث عن جذورها لا نجدها في نفس اللغة بل نرى جذورها في اللغة العربية حصرا، ولو تتبعنا جذور معظم اللغات لوجدناه تتشابه مع جذور اللغة العربية مع مرعاة الاختلافات في النطق والانزياحات الدلالية واللفظية.

ومن هنا يمكننا القول أن اللغة التي تحتفظ بجذورها هي لغة قد حافظت على هوية المنشأ، وبالتالي هي أطول عمرا من غيرها، وأكثر عراقة وأصالة، وهذا إن لم نقل أنها اللغة الأم التي تفرعت منها اللغات الأخرى.

ثانيا: اللغة العربية هي لغة الامة الوسط.

قد كانت اللغة العربية قبيل الإسلام، وفي صدر الإسلام تعتبر اللغة الأكثر انتشار بالعالم القديم، ولغة التجارة، ولغة التواصل بين مختلف الشعوب بالشرق الأوسط، وهي اللغة التي تربط الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، ولذلك يمكن اعتبار اللغة العربية هي المفتاح لفهم الحضارات القديمة في العراق، ومصر والشام والحجاز واليمن والبحرين وعمان وفارس.

فقد كان المستشرقون يحاولون عبثا فهم اللغات، والابجديات القديمة من خلال لغاتهم الغرب اوربية، فكانوا يقعون في اشتباهات كثيرة وكبيرة، ولما استخدم بعض الباحثين العرب اللغة العربية كوسيلة لفهم اللغات القديمة؛ تفتحت لهم الأسرار، وانحلت أمامهم الرموز بسهولة ويسر، ويمكن مراجعة كتاب (ملامح في فقه اللهجات العربيات من الآكادية والكنعانية ووحتى السبأية والعدنانية) للدكتور محمد بهجت قبيسي فقد استوفى الحديث عن اللغات العربيات القديمة وكيف تكون هي المفتاح لفهم الكثير من اللغات القديمة.

ثالثا: الثراء اللغوي وكثرة المفردات.

وهذا الثراء يكشف عن امتداد تاريخي طويل، وأن اللغة مرت بمراحل تطورية عدة، ولكنها لا تزال تحتفظ بسجل التغيرات الذي يظهر لنا بظاهرة تعدد المفردات لمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ واحد.

ويكشف كذلك عن امتداد وانتشار مناطقي بحيث كل منطقة تستخدم لفظا مختلفا لمعنى واحد أو تستخدم لفظا واحدا لعدة معاني مما يزيد ثراء اللغة ودقتها وعمقها، وهذا يدلنا على أن العربية كانت هي اللغة العالمية في ذلك الزمن، وبالتالي كانت هي اللغة الأجدر لتحمل الرسالة العالمية، ويمكننا القول أن اللغة العربية بما تمتلكه من إمكانات، فهي مرشحة لأن تعود، وتكون اللغة العالمية مرة أخرى.

وبذلك استحقت لأن تكون اللغة الحاملة للوحي الإلهي، واللغة الخالدة بخلود القرآن.

والنقطة الأخيرة التي لا بد من الإشارة إليها هي إن اللغة العربية لغة علم وحضارة، وليست لغة الصحراء فقط وفقط كما يتصور البعض. فالعرب كانوا ينقسمون إلى حضر وبدو، فالحضر هم الذين بنو الحضارات القديمة في البحرين واليمن والحيرة والشام والحجاز أما البدو فكانو هم القبائل الرحل التي تتنقل من شرق الجزيرة إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، فكان لهم دور مهم في إثراء اللغة، وانتشارها، وتنمية الذوق والسليقة، والحفاظ عليها.

الفصل الثاني: علوم اللغة بين التأسيس و التنظير

كانت اللغة العربية قبل الإسلام أشبه ما تكون بالمعارف والمهارات المتناثرة التي لا يربطها، ولا ينظمها رابط منطقي وعلمي، وكان كل

ما يتطلب لإتقان هذه المهارات هو الذوق والخبرة والممارسة والحفظ.

وقد كانت هذه طريقة قريش في تعليم أبنائها اللغة، وهي المحافظة على الذوق والسليقة والممارسة من خلال إرسال أبنائهم إلى البوادي ليتعلموا الفصاحة والشعر والبلاغة والفروسية.

ومع مجيء الإسلام استيقظ العقل البشري، ونشطت العلوم، وتطورت المعارف، فلم تعد الطرق البدائية كافية وشافية، فكان لا بد من تأصيل العلوم، فأدى ذلك إلى ولادة علوم اللغة العربية، وولد معها الكثير من العلوم التي أبدعتها وأصلت لها حضارتنا لتتميز بها مثل: علم الاستدلال والبرهان والكلام كعلم أصول الدين، وعلم الأدلة الأربعة كعلم أصول الفقه، وكعلوم التوثيق كعلوم الحديث والسند والرواية والجرح والتعديل والسيرة والتاريخ وعلوم القراءة و التجويد والتفسير، وكعلوم الشريعة كالعبادات والمعاملات وإلخ.

وقد كانت الجذوة التي انطلقت منها علوم اللغة العربية هي تلك الكلمة التي قالها علي ابن أبي طالب كرم الله وجه لأبي الأسود الدؤلي وهي: (الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود الدؤلي نحا نحوه وفرع على قوله وسلك طرائقه فسمي هذا العلم النحو لذلك) ١.

وأهم ما قام به أبي الأسود الدؤلي هو تصنيف الكلمات إلى الأسماء والأفعال والحروف، ورصد أهم المميزات والعلامات لكل صنف، والأمر الثاني الذي قام به الدؤلي هو وضع علامات الإعراب للكلمات، وكانت طريقته وضع نقطة أعلى الحرف لعلامة النصب، وهي الفتحة، ووضع نقطة أسفل الحرف لدلالة على الكسر أي علامة الكسرة، ووضع نقطة بين يدي الحرف لعلامة الرفع وهي الضمة.

وهذا الإجراء الذي قام به الدؤلي هو الأساس المنطقي لفهم علامة اللغة العربية وهذا ما سيتم تسليط الضوء عليه.

علم النحو

يعتبر علم النحو من العلوم التي أسسها المسلمون ولم يكن لها سابق وجود قبل الإسلام، فهو علم إسلامي أصيل بامتياز، ويستوفي شروط العلمية بكل المعايير القديمة والحديثة.

وذلك لأن علم النحو يقوم على نظام منطقي صارم، وقد تسابق النحاة في اكتشاف قواعد اللغة، وتأصيلها وفق أسس عقلية وعلمية تقوم على رصد الظواهر الصوتية من خلال الملاحظة والتجربة، ووضع الفروض ونقدها وتمحيصها .

ويمكن تلخيص مبادئ علم النحو في خمسة مبادئ أساسية هي:

١- أقسام الكلام: وهو ينقسم إلى أسم يدل على المسمى، وفعل يدل على الحركة، وحرف يدل على معنى ليس باسم ولا فعل، ويذكرون لكل قسم أنواعه وعلاماته.

٢- المحل أو الموقع الإعرابي: بحيث يكون لكل كلمة موقع إعرابي في الجملة، فللأسماء مواقع محددة بالجملة مثل المبتدأ والخبر والفاعل ونائبه والمفاعيل والتوابع، وبعضها لا محل لها في الإعراب مثل الحروف.

٣- الأحكام الإعرابية: وهي أربعة أحكام أساسية ثلاثة للاسم الرفع والنصب والجر، وثلاثة للفعل هي الرفع والنصب والجزم.

٤- العلامات الإعرابية: وهي ثلاثة أصلية، وهي الفتحة، والضمة، والكسرة، وأخرى فرعية مثل الألف والواو والياء والكسرة والفتحة والحذف.

٥- العوامل الإعرابية: توجد مجموعة من الكلمات إذا اقترنت بأخرى فهي تحدث تغييرا فيها فيتغير إعرابها.

المعاني الدلالية للعلامات والأحكام الإعرابية.

وسنعتمد على استخراج معاني العلامات والأحكام الإعرابية من قواميس اللغة العربية المشهورة، وسنعطي عناية خاصة لطريقة ابن فارس وابن جني في تحديد المعاني من القدماء، ومن المتأخرين طريقة العلايلي والأرسوزي وحسن عباس وسبيط النيلي.

وعلى ذلك سنحلل قواعد اللغة العربية التي وضعها علماؤنا السابقون تحليلا منطقيا جديدا.

النصب ومعناه: القوة التي تظهر الشيء المخفي، وتجعله قائما، وتجعله حدا وغاية كما تنصب الراية أعلى الجبل، فتكون علامة وغاية وحدا لنهاية الصعود، وحدا لبداية النزول.

والمنصوب هو ما تكتمل به غاية الجملة دون أن يكون ركنا أساسيا فيها، ومن النصب يأتي الفتح، والفتحة كدلالة على حد البدء، وهو المعنى الذي يستفتح به فيتم إبراز المعنى، وإظهاره فيكون كالعلم المنصوب، وابرز مصاديقه هو الفعل الماضي الذي هو دائما بداية الفعل، وبه يكون استفتاح كل حدث لذا هو مبني على الفتح لأن صفة البداية لا تنفك عنه.

وعندما نرى الفتحة أو نسمعها ظاهرة في آخر كلمة ما نفهم أن معنى هذه الكلمة تم إبرازه ليكون هو الغاية، ومحط النظر كما نراها في المفاعيل التي تكون هي غاية الأفعال، وكما نراها في اسم إن وأخواتها بحيث يكون اسم إن هو من تتوجه إليه عناية الأنظار.

وهذا المعنى يتطابق تماما مع طريقة تلفظ الفتحة بحيث ينفتح الفم، ويُرفع الصوت لأعلى مما يدل على الظهور والبروز، وعلى الحالة الطبيعية التي يتم البدء بها.

وأما الكسر: فهو قوة تسلب الوجود، وتحوله إلى موجودات صغيرة وضعيفة، وتكون تابعة لغيرها، وغير أصيلة، فتنكسر الصورة الظاهرية وتنفى ويحل محلها صورة جديدة ترتبط بالأولى ولكنها غيرها بل هي متضادة معها بوجه من الوجوه، ومنه يأتي الجر أي المعنى الذي يكون تابعا لغيره، ولا يكتمل معناه إلى بغيره، فهو مكسور وبحاجة إلى من يجبر كسره.

فعندما نشاهد الكسرة ظاهرة في آخر الكلمة، فنعلم أن معنى هذه الكلمة معنى تابع لغيره أو يكون هذا المعنى لا يكتمل إلا بغيره، كما نراها دائما في الاسم المجرور بالإضافة، فالمضاف إليه مجرور دائما لأنه تابع للمضاف، وذلك أنه لا هوية مستقلة له، فالكسر للمضاف إليه يدل على أن هويته مكسورة أي غير موجودة، وكذلك في المجرور بحرف الجر فالمعنى لا يكتمل إلا بحرف الجر، فهوية المعنى مكسورة وبحاجة لأن يجبر كسرها بحرف الجر.

وهذا المعنى للكسرة يتطابق تماما مع طريقة تلفظها، فعندما تلفظ الكسرة يتم كسر الفم، وينخفض الفك السفلي، ويُدفع الصوت لأسفل مما يدل على معنى سلبي، ويدل على شيء قد انكسر، ففقد استقلاليته، وصار تابعا.

الرفع يدل على القوة الناعمة التي تنمو، وتتفرع وتتسامى فروعها، فتتوحد فيعلو أمرها أو القوة التي تفصل الأشياء عن مكانها، وتصنع لها هوية مستقلة وتتجه بها للأعلى.

ومنه يأتي الضم، والذي يدل على انضمام أشياء متغايرة إلى بعضها، فتجتمع، وتتوحد.

فعندما نشاهد الضمة على آخر الكلمة فسنعلم أن معنى هذا الكلمة معنى مستقل في ذاته، ولكنه ينضم إلى معنى آخر، ويندك معه لينتج لدينا معنى متحدا من معنيين وهي الجملة التي لا بد أن تتركب من معنيين يسندان لبعضهما.

كما نراها في المبتدأ الذي لا بد أن ينضم إليه خبر لتكتمل أركان الجملة، وكذلك نراها في الفعل المضارع الذي يحتاج إلى فاعل ينضم إليه، وكذلك الفاعل يحتاج إلى فعل ينضم إليه.

فالضمة لها معنى دلالي واضح وهو أن معنى الكلمة الذي يتوج بالضمة ليس مفردا بل هو معنى قد ضم إلى معنى آخر.

وكذلك طريقة تلفظها تعطي هذا المعنى الدلالي بحيث يستجمع الفم قواه، وتُضم الشفتين، ويُدفع الصوت للأمام مما يدل على القوة والاتحاد والاندفاع.

حروف العلة

لا يمكن فصل علامات الإعراب الأساسية عن الأحكام الإعرابية، وعن حروف العلة، فمن يمعن النظر سيجد أن بينها ترابطا منطقيا متسلسلا، وسيجد لها معاني مشتركة.

حروف العلة هي امتداد للحركات، فقد كان النحاة يسمون الفتحة ألف صغيرة، والكسرة ياء صغيرة، والضمة واو صغيرة مما أدى بهم إلى ترك العلامات القديمة، واستبدالها بالجديدة، فبدلا من نقطة فوق الحرف للفتحة وضعت الف صغيرة مائلة فوق الحرف، وبدلا من النقطة تحت الحرف وضعت ياء صغيرة، ثم تحولت خط صغير تحت الحرف، وبدلا من نقطة بين يدي الحرف للضمة وضعت واو صغير.

وهذا يكشف أن معاني حروف العلة هي نفس معاني العلامات الإعرابية الأساسية، وتحل محلها في عدة موارد كما لدى الأسماء

الخمسة.

فالألف هو أول الحروف وبه تستفتح الأبجدية، وبه تبدأ، واسمه يحمل معناه، فهو أليف، طبعه الألفة والتآلف، وهو أكثر الحروف تشكلا، فهو يأتي موصولا ومقطوعا وممدودا ومقصورا ومفتوحا ومكسورا ومضموما.

ويدل على معان عدة كلها تقترب بشكل أو آخر من المعنى الأساسي الذي يدل على البدء و الانفتاح والاتصال والاتحاد والتآلف، فنراه يستخدم في ألف الاثنين، وفي ألف النداء، وفي ألف التعدية، وألف الاستفهام.

أما الياء فهو ثاني حروف العلة، ويدل على الانكسار والعودة إلى الذات، وانطواء الإنسان على نفسه، وإدراكه للوعي الباطن، وانقطاعه عن التواصل مع الآخر، وبالتالي فالياء تدل على المعاني الذاتية والمعنوية الباطنية غير الظاهرية، فنجد الياء تستخدم للملكية (كتابي) فالملكية صفة معنوية اعتبارية غير ظاهرة، وفي ياء النسب، وياء المخاطبة، وكلتاهما تدلان على معنى باطني يمس عمق الهوية والذات.

أما الواو فهو ثالث حروف العلة، ويدل على الجبر بعد الكسر، ويدل على قوة الاجتماع، والتكامل بين الباطن والظاهر، وعلى قوة البقاء والاستمرار، فنجد الواو تستخدم في واو الجماعة، وتستخدم في واو العطف التي تستخدم للجمع، وفي واو جمع المذكر السالم المرفوع وتكتب الواو على شكل دائرة ينزل من طرفها الأيمن الف مائلة نحو اليسار، وكأن الياء المكسورة قد جبر كسرها بألف أخرى لتكمل دائرتها، وتتحول إلى واو.

العلامات الفرعية.

الأحكام الإعرابية هي ثلاثة أحكام أساسية، وصيغتها المثلى كما نراها لدى الأسماء المعربة، وهي النصب والرفع والجر، وهي نفسها عند الأفعال المعربة سوى أن الجر تحول إلى الجزم، ويجب أن يعلم أن الجر والجزم لهما حكم منطقي واحد هو الكسر والنفي والطرد، والفارق هو أن الجر كسر جزئي ظاهري فيكسر المعنى باطنيا ويتم ابرزا معنى الكسر لفظيا من خلال نطق الكسرة، وهذا ممكن مع الأسماء، وغير ممكن مع الأفعال. أما الجزم فهو كسر تام بحيث تحذف الحركة، فيكون الحرف ساكنا، وفي بعض الأحيان تستفحل عملية الكسر، فيحذف الحرف الأخير، وقد اصلح النحاة على عملية الكسر هذه بالجزم، فتارة يجزم الفعل بالسكون، وتارة يجزم بحذف حرف العلة للمعلول الآخر أو بحذف النون في الأفعال الخمسة. فالسكون هي علامة فرعية لحكم الكسر أو الجزم حسب الاصطلاح النحوي، ففي الأفعال لا يمكن إظهار الكسرة لذلك يتم حذفها ليكون الحرف ساكنا. وكذلك الحال بالنسبة إلى بقية العلامات الفرعية يتم اللجوء إليها، وترك العلامات الأصلية لأجل أسباب مثل صعوبة النطق، والبحث عن جمال اللفظ، ووضوح المعنى، وزيادة في الدلالة، وكلها حالات استثنائية يمكن حصرها، وهي الأسماء الخمسة، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، والمثنى، والممنوع من الصرف.

العوامل

وهي الأسباب التي تؤثر في الأحكام الإعرابية وهي نوعين: معنوية ولفظية:

أما المعنوية فهي مثل عملية الإسناد التي تجمع معنين وتوحد بينهما، وبالتالي هي التي ترفع المبتدأ والخبر، وترفع الفاعل ونائبه، وترفع الفعل المضارع.

أما اللفظية فهي بعض الألفاظ التي اذا اقترنت بأخرى أثرت بها، وغيرت من حكمها الإعرابي مثل الأفعال، وبعض أنواع الحروف العاملة مثل (حروف الجر وإن وأخواتها وأدوات النصب)، وبعض الأسماء التي تعمل عمل الفعل كاسم الفاعل.

الفصل الثالث: الأسس المنطقية لظاهرة الإعراب.

تمهيد

لم تعطي الفلسفات القديمة وعلى رأسها اليونانية البحوث اللغوية أهمية تذكر، فلم تكن علوم اللغة ضمن مباحث الفلسفة، وكذلك الحال بالنسبة إلى العلوم التجريبية، ففي بداية أمر الطبيعيين لم يعتبروا علوم اللغة من ضمن العلوم، لأن اللغة لا يمكن دراستها في

المختبرات، وإقامة التجارب عليها، ولكنهم الآن بعد تطور العلوم صاروا يعتبرون اللغة علما، بل منهجا وفلسفة.

أما الحضارة الإسلامية فكانت انطلاقتها العلمية انطلاقة علمية لغوية، فمعجزة الإسلام كانت ظاهرة لغوية، وعلوم الإسلام هي علوم لغوية أو مرتبطة باللغة بشكل أساسي، فعلم العقيدة يسمى بعلم الكلام، وعلم الفقه مرتبط بعلم أصول الفقه هو قواعد فهم النصوص الشرعية، والنصوص الشرعية بحاجة إلى علم الصرف والبلاغة والنحو وفقه اللغة وعلم مخارج الأصوات وعلم المعاجم والقوافي و العروض والتجويد وإلخ.

وقد تشكلت العلوم الإسلامية الأصيلة، ووضعت قواعدها الأساسية قبل عصر الترجمة، وعندما حصل عصر الترجمة حصل تصادم قوي بين علم النحو، وعلم المنطق، وذلك أنهما علمين ينتميان لثقافتين مختلفتين، ولهما أهداف وغايات مختلفة، ولكنهما يتشابهان في طبيعة الاستدلال، والتفكير في بعض الجوانب، ويختلفان في أخرى.

فكل من العلمين يعتمد على نظام عقلي نسقي، ولكن الفارق هو أن علم المنطق يدرس المعقولات المجردة، ويهدف للوصول إلى التفكير السليم بغض النظر عن الألفاظ.

بينما علم النحو يدرس نظام لفظي خاص باللغة العربية بطريقة عقلية نسقية، ويوازي بين عالم المعاني والألفاظ، ويضبط دلالة الألفاظ على المعاني.

فعلم النحو العربي علم عقلي قياسي، ومن يألف البحث النحوي يشعر أنه يمارس عمليات ذهنية شبيه بعمليات علم المنطق، ويمكننا القول: أن علم النحو هو علم منطق اللغة العربية.

ولهذا السبب كان علماء النحو يشعرون أنهم ليس بحاجة لعلم المنطق، وكان علماء الفقه والأصول والكلام يستعيضون بالتعمق في اللغة العربية عن دراسة علم المنطق الأرسطي.

ولذلك لم يكن علم المنطق يحظى بقبول عند جمهور العلماء في بدايات ترجمته حتى القرن الرابع بدأ يتزايد الاهتمام به.

علوم اللغة بين المنطق القديم والمنطق الحديث

لم تحظى علوم اللغة بأهمية في علم المنطق، ولم تحظى بالقبول بين مباحث الفلسفة، فنرى مثلا مباحث الألفاظ٢ لم تكن موجودة في علم المنطق الأرسطي، ولم يكن اليونانيين يعرفون هذه المباحث، حتى جاء المسلمون، وأدخلوا مباحث الألفاظ ضمن مباحث علم المنطق، وذلك لأهمية الألفاظ في ضبط المعاني.

بخلاف المنطق الرياضي الرمزي الذي أعطى اللغة اهتماما كبيرا، ولكن رواد هذا العلم درسوا علاقة المنطق الرياضي باللغة بشكل عام دون تخصيصه بلغة معينة، ولم يقتربوا من اللغة العربية، وحتى العرب الذين اشتغلوا على هذا العلم لم يدرسوا اللغة العربية بأدوات المنطق الرياضي.

وسنقوم بتسليط الضوء على أهم مبادئ علم المنطق الرياضي، ومن ثم سنرى كيف أن علماء النحو قد أتقنوا استخدام هذه التقنيات الرياضية المنطقية قبل تبلورها لدى علم المنطق، والأعظم من كل ذلك كيف تشكلت هذه السليقة وفق معادلات دقيقة.

المنطق الرياضي وأسرار اللغة العربية

هو العلم الذي يدرس أسس التفكير العلمي الرياضي بطريقة مجرد ومطلقة، ويستعين بلغة الرياضيات ،والرموز للإشارة إلى عمليات التفكير الأساسية التي يعتمد عليها العقل البشري، وتستخدم تطبيقاتها في كل العلوم وفي كل المعارف الإنسانية.

ويعتمد التفكير البشري على ثلاث قوانين أساسية تتفرع منها كل القوانين، والقواعد العقلية.

وهذه القوانين الثلاثة هي كما لدى أرسطو (١- الهوية ٢- التناقض ٣- الوسط المرفوع) ولدى المنطق الحديث (١- الوصل ٢- القطع ٣- الاستلزام) أو (١- تحصيل حاصل ٢- متناقضة ٣- ممكنة) أو (وجود ، عدم ، إمكان)

وأنا أميل إلى صياغتها بطريقة أخرى مستفيدا من اللغة العربية وهي: (الإثبات ، النفي ، الإنشاء).

القانون الأول:

وهو قانون الإثبات أو الهوية أو تحصيل الحاصل، هو ما يقابل في اللغة العربية قانون النصب، وعلامته الفتحة.

وذلك أن إثبات الشيء بطريقة بديهية يتم من خلال المعارف الحسية الأولى فلا يحتاج الأمر إلى دليل عقلي، وكل ما يتطلب هو الإبراز كما يتم إبراز العلم من خلال نصبه فوق الجبل، وسميت علامته فتحة لأنها المعارف التي يتم استفتاح العقل بها، وتمثل الفتحة الحالة الأولى البسيطة.

القانون الثاني:

هو قانون التناقض أو النفي، وهو ما يقابل في قانون اللغة العربية الكسر والقطع والجزم، وذلك أن الإنسان ينطلق في معارفه من خلال المعارف الحسية، ومن ثم يترقى في إدراكاته نحو المعارف العقلية، ففي بداية الأمر يدرك الإنسان الظواهر الحسية، ولكن سرعان ما يكتشف أن هناك أمورا غير ظاهرة، فيحتاج الإنسان لأن ينفي عالم الظاهر ليصل إلى عالم العقل الباطن.

فعلى سبيل المثال عندما يتعلق الإنسان بشخص آخر، ففي بداية الأمر يتعلق بظاهره، ولكن مع الوقت يكسر الصورة الظاهرية، ويبحث عن الصورة الغائبة المتمثلة في العقل والمشاعر، فلا يعود يهمه الشكل الظاهري، والصورة الظاهرية، فيتم التعلق بالصفات الباطنية غير الظاهرية، وعندما تنفى أو تُكسر الصورة الذهنية لا تتحول إلى عدم محض، بل تتحول إلى صورة ذهنية من دون مصداق خارجي، فلها نوع وجود يتحقق في الذهن دون الخارج.

فبين الظاهر والغائب عملية تناقض، وبين الإثبات والنفي تناقض، وبين الوجود والعدم تناقض.

ولكن في واقع الأمر لا يوجد لدينا إثبات مطلق ونفي مطلق بحيث لا يمكن أن يجتمعان تحت عنوان ما بل لدينا إثبات لشيء ما أو نفي لشيء ما، فالإنسان، واللا إنسان يندرجان تحت عنوان الشيء.

لذلك يتم استخدام الإثبات بطريقة يكون فيها مضافا إلى شيء ما، وكذلك النفي، وبالتالي لا يكون التناقض تاما بل يكون أشبه بالعناد والتضاد، وهنا نجد اللغة العربية دقيقة جدا في معيارها المنطقي بحيث قانون النفي يتم التعبير عنه بالكسر لأنه ينفي صورة ما، ويأخذ صورة جديدة تناقض الأولى، ولا يكون النفي هنا مطلقا، ولا يكون التناقض تاما مستوفيا للكل شروط التناقض.

ونجد باللغة العربية وضوحا أدق في هذه العمليات المنطقية عند التعبير عنها مثل مفاد كان التامة ومفاد كان الناقصة أو مثل هل البسيطة أو هل المركبة، فهذه المصطلحات النحوية تشير لقانون منطقي مهم وهو أن الإثبات تارة يكون ذا رابطة أحادية أي إثبات للشيء في ذاته، وتارة يكون ذا رابطة ثنائية، وهو إثبات شيء لشيء، فكان التامة مثل كان الله، وكان الناقصة مثل كان زيدا مريضا، ففي الأولى تثبت شيئا واحدا، وهو كينونة الله فقط،، والثانية تثبت شيئا لشيء، وهو إثبات المرض لزيد.

القانون الثالث:

هو الوسط المرفوع أو الممكن أو التردد، وهو ما يقابل في قانون نحو اللغة العربية الرفع والضم، و في قانون علم بلاغة اللغة العربية بالإنشاء. فعندما يثبت الإنسان شيئا ما عن طريق الحس يتصور أنه حصل على المعرفة التامة، ولكن سرعان ما يتسرب الشك إلى المعارف الحسية، ويتم الاستعانة بالمعارف العقلية الباطنية غير الظاهرة التي تقف بالضد لعالم الحس الظاهري، فيميل إلى عالم العقل، ويتجاهل عالم الحس، ولكن هذا الوضع سرعان ما يتغير فيسعى لحالة جديدة يجمع فيها بين المعرفة الحسية، والمعرفة العقلية بطريقة تكاملية، فيقف الإنسان هنا محتار ومترددا بين الأمرين، فبإمكانه أن يختار أحدهما فتكون العملية عملية قطع أو عملية الجمع المنطقي حسب الاصطلاح ونستخدم فيها الرمز (أو) و(الرمز الإنجليزي or)) ، ونستخدم لها أيضا (إما وإما) ومثال لذلك: هذا الشيء زيد وهو إما مريض وإما سليم. وبإمكانه أن يختارهما معا ويجمع بينهما فتكون العملية عملية (وصل) وتتحقق عملية الإسناد وهي التي تعرف بعملية الضرب المنطقي ويستخدم حرف الواو رمزا وبالمصطلح العلمي الإنجليزي (and) ومثال لذلك بعبارة منطقية: هذا الشي هو زيد وهو مريض. وبإمكانه التوقف عنهما فلا يمكن أن تولد جملة خبرية وبالتالي نتحول من الوصف الخبري إلى الإنشاء وصناعة الحدث.

ومن أهم يميز علم المنطق الرياضي أنه يدرس كافة الاحتمالات المنطقية، ويحدد الحالات المنتجة والحالات غير المنتجة في عملية الاستنباط، وعندما نخضع ميزان اللغة العربية للحسابات الرياضية المنطقية نجدها تتوافق تماما مع الحالات المنتجة، ولا يمكن استيفاء كل الأمثلة، ولكن نسلط الضوء على أهم الأسس النحوية.

أمثلة نحوية وتطبيقات رياضية

المثال الأول:

عندما يدرك الإنسان مفهوما ما، وليكن هو مفهوم الإنسان، ولنرمز له بالرمز (أ)، وعندما يريد أن يمتحن صدق هذا المفهوم على شيء أمامه، فهو يقف أمام حالتين هي صدق الانطباق أو كذب الانطباق، وهذا بلغة المنطق، أما بلغة النحو: فهو إما مفتوحا وإما مكسور، والمفتوح يكون مفتوحا مرة أخرى أي يكون صادقا أو مكسورا أي منفيا وكاذبا، ويمكن الاستعانة بهاذين الجدولين لتوضيح الفكرة.

الجدول الأول باستخدام لغة المنطق الرياضي فإذا صدق (أ) كما في السطر الأول يكذب نقيضه إذا كذب (أ) صدق نقيضه٣.

أ	-أ
ص	ك
ك	ص

الجدول الثاني باستخدام رموز علم النحو

أَ	إِ
◌َ	◌ِ
◌ِ	◌َ

وننتقل الآن للحديث عن الروابط الثنائية بين مفهومين أ و ب، ويمكن أن نضع مثال الأنسان مخلوق وهذا المثال هو جملة نحوية بلغة النحو، وبعبارة منطقية بلغة المنطق فتكون: هذا الشيء هو إنسان ومخلوق، وهذا الجملة النحوية أو العبارة المنطقية تكون صحيحة في حالة واحدة، وهو تحقق المفهومين معا لتصح عملية الإسناد، ونوضح كافة الاحتمالات المنطقية بهذا الجدول:

الإنسان		عملية إسناد	مخلوق		النتيجة	الرمز النحوي	الرمز المنطقي
أ		و	ب		النتيجة		
◌َ	ص		◌َ	ص	تتحقق عملية الإسناد	◌َ◌َ = ◌ُ	ص^ص=ص
◌َ	ص		◌ِ	ك	لا تتحقق	◌ِ	ك
◌ِ	ك		◌َ	ص	لا تتحقق	◌ِ	ك
◌ِ	ك		◌ِ	ك	لا تتحقق	◌ِ	ك

وهنا جانب جميل في اللغة العربية، وهي ترميزها لعميلة الوصل والاتحاد والاندماج بين المفهومين، بالضمة، وهي عبارة عن واو صغير، والواو تدل على الجمع، وكذلك الضمة تدل على الجمع والضم.

والنقطة الثانية هي أن الجملة في اللغة العربية لا يمكنها أن تبدأ بنكرة فلا بد أن يكون المبتدأ معرفة، وإن لم يكن معرفة فمخصص ومميز بحيث يمكن تسويغ الابتداء به، ويقابل هذا المبدأ النحوي مبدأ منطقي، وهو أن عقولنا نتعامل مع مفاهيم عقلية مجردة، ولكن المفاهيم المجردة لا بد أن يتم ربطها بمعرفة بديهية حسية، كي يستقيم الاستدلال، ويكون مولدا لليقين، وبالتالي يجب إرجاع كل المفاهيم المكتسبة إلى مفاهيم بديهية، وفي مثالنا المتقدم قد بدأنا الجملة بأل التعريف وهي تعادل اسم الإشارة هذا، وبالتالي فالجملة في اللغة

العربية مبنية وفق نظام منطقي استدلالي يبدأ من الأمور الحسية المعروفة، ويجعلها موضوعا، ومن ثم يذهب للدائرة المفهومية الأوسع، والتي لا بد أن تكون نكرة لكي تكون مصاديقها متعددة.

وهذه الجملة النحوية (الإنسان مخلوق) في اللغة العربية يقابلها العبارة المنطقية التالية: (هذا الشيء هو إنسان، وهو مخلوق) ، ولكن في اللغة العربية يتم استبدال (هذا الشيء هو) بعلامة التعريف (الـ) كما في المثال، ومن المعروف أن في اللغة العربية قانون متكامل للتعريف، وله أساليب وأدوات محددة، ويقابله في المنطق مباحث التعريف.

والمثال الثاني: للتأصيل النحوي وفق قواعد المنطق الرياضي

قد مرت الإشارة إلى أن الفتحة هو عبارة عن ألف صغيرة، وبالتالي فهي جزء من الألف وليست كل الألف ، وبالتالي فالألف له عدة حالات ، فهو يأتي موصولا إذا كان في حالة الفتح الطبيعية ومقطوعا في حالة الكسر.

أ	الحالة
أ و َ	موصول
أ و ِ	مقطوع

فالموصول يكون مستمرا في حالته الطبيعية فلا يأخذ أي حركة أما المقطوع، فيكون مكسورا ومنفصلا، فتظهر الهمزة كأثر لانقطاع النفس، وبالتالي يمكن للحركات أن تظهر عليه، بل ويكون بدء ظهور الحركات من خلال الألف.

ويمكن تشبيه الألف الموصول رياضيا بالخط المستقيم الممتد بلا نهاية.

ويمكن تشبيه الألف المقطوع رياضيا بالدائرة التي بداخلها دائرة أخرى فتولد لدينا علاقة لزوم أو احتواء وتنص قاعدة اللزوم على إنه إذا تحققت الدائرة الكبيرة يجب أن تتحقق الدائرة الصغيرة وبلغة المنطق إذا تحقق المقدم وجب تحقق التالي وتكذب القضية إذا كان التالي كاذبا والمقدم صادقا.

وعند تحويل هذه القاعدة إلى المنطق النحوي نجد أن للألف ثلاث حالا يكون منتجا ويتضمن حركة وفي حالة واحدة لا يكون منتجا ولا يتضمن حركة.

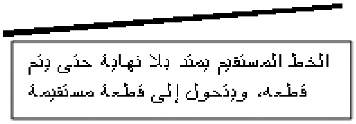

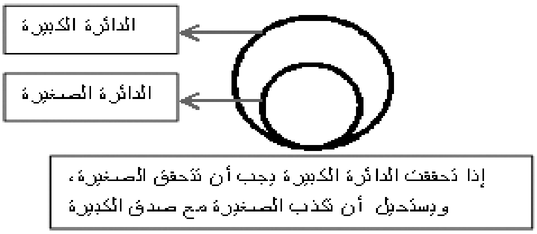

وعليه فالمقطوع له أربع حالات حسب الجدول التالي:

أ	احتواء	الحركات	النتيجة	الحكم	التحليل
◌َ		◌َ	◌َ	مفتوح	يتحقق الألف سليما وتتحقق في ضمنه الحركة التي من جنسه وهي الفتحة
◌َ		◌ِ	◌ِ	ساكن	وهنا لا يمكن أن تتحقق حركة فيكون الألف ساكنا
◌ِ		◌َ	◌َ	مضموم	يتحقق الألف مكسورا، ولكن كسره يجبر فيكون مضموما.
◌ِ		◌ِ	◌َ	مكسور	يتحقق الألف مكسورا، ويتم تأكيد كسره فيكون مكسورا.

والمثال الثالث :

هو تقسيم الكلمة إلى ثلاث أنواع: الاسم والفعل والحرف .

الاسم: يمثل عالم الفتحة والبداية، ويمثل قانون الهوية، ودليل الحس الذي يتم البدء به في الاستدلال، وهو يدل على شيء ثابت ومحدد.

الفعل: يمثل عالم الكسر، ويمثل قانون التناقض، ودليل العقل الذي يتحرك بمرونة بين عدة حالات، ويجمع بينها في حالة واحدة، وبالتالي فهو يدل على الهيئة التي تدل على حركة وتغير وتبدل، فالمعنى الواحد الثابت (الاسم) يتم كسره ظاهريا لنحصل على هيئة تتشكل بثلاث صيغ لتدل على ثلاثة معاني لها نفس المعادلة المنطقية لمقسمها الأول.

الصيغة الأولى: هي صيغة الفعل الماضي الذي يدل على الاستفتاح، وبداية الحركة، ويدل على الثبات فهو يدل على حدث قد وقع وثبت في الماضي، فهو يمثل عالم الفتحة، وليس مصادفة أن تكون علامته البناء على الفتح، بل هو تطابق للعقل مع السليقة العربية.

الصيغة الثانية: هي صيغة الفعل المضارع الذي يدل على حركة مستمرة، فهو يمثل عالم الكسر، فهو يكسر الثبات والجمود الذي يميز الماضي ليبتعد عن عائلة الفعل، ويقترب من الاسم، وسمي مضارعا لمضارعته للاسم أي مشابهته، وبذلك خرج عن البناء وصار يعرب كالأسماء.

الصيغة الثالثة: هي صيغة فعل الأمر الذي يدل على حركة لم تقع بعد، وبالتالي لا يمكن الإخبار بها، ولذلك هو طلب لإنشاء وإيجاد الحركة، وهو بالتالي يمثل الوسط المرفوع وهي الحالة التي تجمع بين الأولى والثانية من خلال ضمهما في دائرة أوسع، ولذلك هو لا يخبر عن حركة موجودة لا سلبا ولا إيجابا ، بل يشار إلى حركة ساكنة وغير موجودة يراد لها أن توجد، فالحركة التي يدل عليها فعل الأمر هي مكسورة وبحاجة إلى أن تجبر وتجمع لكي توجد وتتحقق، وبمعنى آخر أن حركة فعل الأمر حال صدوره ساكنة ولم تتحرك بعد، وقد تمت الإشارة سابقا إلى أن السكون فرع الكسر، وليس اعتباطا أن السكون علامة الأمر بل لأن الأمر يدل على حركة ساكنة حال صدوره، وسوف تتحرك فيما بعد، وهذا يدل على أن السليقة العربية بلغت مستوى من الدقة العقلية ضارعت فيه علم المنطق الرياضي في زمن لم يولد هذا العلم فيه بعد، ويدل على عبقرية علماء اللغة العربية التي قننت هذا القوانين بعمق رياضي لا مثيل له.

الحرف: وهو يمثل عالم الضم، ويمثل قانون الوسط المرفوع، والدليل الرمزي المجرد الذي يتجرد من الحس والإثبات كالأسماء، ويتجرد من دليل العقل والنفي للظاهر كالأفعال، ويجمع بينهما ليكون لديه معنى يتسامى على الاسم والفعل، فلا يمكن تحصيله إلا بطريقة رمزية، وهذا الرمز ينشأ المعنى حسب مكانه بالجملة، ولأن معاني الحروف معان لا يمكن تحصيلها، وتحديد مؤداها، ولذلك لا يمكن

لنا تكوين صورة ذهنية ثابته تجاه الحروف، وبالتالي لا يمكن إثبات الصورة الذهنية أو نفيها كما نفعل بالصور الذهنية المحصلة للأسماء والأفعال.

ولذلك معاني الحروف الإنشائية لا تتأثر بالعوامل، ولا تتأثر بالموقع الإعرابي، وبالتالي لا يمكن إعرابها، ولذلك نجدها دائما مبنية.

وفي المقابل نجد أن الوضع الطبيعي للأسماء هو الإعراب، ولكن إذا شابه أحد الأسماء الحروف في بعض صفاتها خسر ميزته الإعرابية، وصار مبنيا مثل الحروف كأسماء الإشارة وأسماء الصلة وأسماء الاستفهام.

وهنا نجد أن منطق اللغة العربية قد فاق المنطق الرياضي من خلال الحالة الثالثة التي يعبر عنها بالوسط المرفوع والتي تدل على التردد أو الإمكان، فنجد منطق اللغة العربية يعبر عنها بالإنشاء، وهذا التعبير يكشف عن وجود إرادة فاعلة تدرك حقيقة التردد، ثم تقدم على الاختيار، ومن ثم تُنشأ فعلا، وتُحدث أمرا، وهنا يكمن سر الإنسانية العاقلة التي تعقل الأمور، وتملك الإرادة، والاختيار، وتتحمل مسؤولية الاختيار وهذا ما يميز البشر عن غيرهم، وهنا تكمن أهمية العقل والذكاء والحكمة .

بينما نجد رواد علم المنطق الرياضي كفريجه وراسل كانوا متوقفين في إدخال هذه الحالة ضمن علم المنطق حتى جاء العالم الآذري لطفي زادة، وتنبه لأهمية هذه الحالة الثالثة فأدخلها ضمن علم المنطق، وأطلق عليها المنطق الضبابي، وأهم تطبيقات هذا المنطق هو الذكاء الاصطناعي الذي يقوم على مراكمة المعلومات، لإعطاء نسبة انطباق للمفهوم كأن نقول أن نسبة التطابق بين صورتين هي ٩٠٪ فنقول أن الصورتين لشخص واحد، ويتم العدول عن الحدية في الأحكام بين صدق وكذب، ويتم الاهتمام بالاحتمالات ونسبها من أجل الترجيح بينها على أساس قيم محددة، ومهما بلغ الذكاء الصناعي من قوة، فإنه لن يملك الإرادة والحرية، وصنع القرار لأن الذكاء الصناعي يقوم على اختيار المعلومة من خلال المعلومات المخزنة لديه فقط وفقط، وليس من خلال الوعي والشعور والإدراك والمحبة والرغبة والرهبة وإلخ.

بينما نجد في منطق اللغة العربية أدوات منطقية أكثر دقة وأكثر واقعية تصلح كميزان يناسب حاجات البشر وكميزان يناسب العلم والرياضيات والمادة والآلة مما يجعلها اللغة العلمية الأمثل، ومما يجعلها اللغة العالمية الأمثل، ولا عجب فقد اختارها الله لتقوم بهذا الدور منذ أربعة عشر قرنا، وإذا كنا قد قصرنا في السابق تجاه لغتنا ، فيجب علينا أن لا نقصر في حاضرنا.

الخلاصة

اللغة العربية لغة منطقية بامتياز، وقادرة على مواكبة عصر المعلوماتية، فهي ليست مجرد لغة تخاطب فقط ، بل هي لغة علمية تكشف لنا أسرار الكون، وأسرار اللغات القديمة منها والحديثة، ولغة منطقية رياضية تضبط عملية التفكير السليم وتصلح لتكون لغة برمجية لتشغيل الحواسيب الآلية، ورغم هذه العمق والدقة المنطقية إلى أنها سلسة وعذبة وتخلو من التعقيد إلى درجة أن السليقة العربية قد أبرزت هذه القوانين المنطقية في أبهى حلة، وفي أجمل صوت، وبأدق المعاني، ومن يتأمل في قواعد الإعراب يجدها قوانين عقلية صارمة ذات نسق منطقي رياضي، فسبحان من أبدعها، وحفظها عبر القرون.

المصادر

١- البداية والنهاية لابن كثير الناشر دار ابن كثير

٢- سر صناعة الإعراب لابن جني الطبعة ١ الناشر دار الكتب العلمية

٣- مهارات الإعراب لرياض السليم مخطوط

٤- ملامح في فقه اللهجات العربيات للدكتور محمد بهجت قبيسي ط ١، ١٩٩٩ دار شمال سوريا

٥- نظريات المنطق الرمزي لمحمد محمد قاسم الطبعة ١ الناشر دار المعرفة الجامعية

٦- الحكمة المتسامية لرياض السليم ط١ دار مكتبة المتنبي بالدمام

الهوامش

١- البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٣١٢

٢- مباحث الألفاظ: هي المباحث التي تدرس العلاقة المنطقية، بين المعاني والألفاظ مثل الاشتراك والترادف والمعاني الحقيقية والمجازية.

٣- يرمز للقضية الصادقة في علم المنطق بحرف ص أو بحرف T ويرمز له أيضا بالرقم ١ ونحن سنرمز له بحركة الفتحة تماشيا مع النظام الرمزي لعلم النحوَ .

ويرمز للقضية الكاذبة بحرف ك أو بحرف F ونحن سنرم. له بحرف الكسرة.